الوساطة الروحية والرسالة

للكاتب العراقي الاستاذ ابراهيم سليمان الكواز

في الحقيقة أن كل انسان منا في داخله قوى لطيفة شفافة تكتنف جواهر ماخلقت من أجلها ، أبدعها القهار العظيم . واسبغ عليها أهابها من الطين اللازب كي تتعلم وتتثقف اذ أن الروح تولد جاهلة ، غير متعلمة . **(وعلم آدم الاسماء كلها ، وعلم الانسان مالم يعلم)** .

غير أن الله جل شأنه وعظمت قدرته ، وهو ما يعبر عنه علماء الغرب بأنه «الروح الاعظم» تقريبا لعقولهم وتفهيما لذواتهم ، أسبغ على كثير من البشر طاقات هائلة من قوى الروح البشرى ، هذا من جهة ومن جهة أخرى جعل أجسادهم الترابية شفافة متخلخلة مما اضاف على عقولهم الروحية قوى عظيمة ، ساعدتهم على الاتصال بعالم الروح وتلقى الالهامات والوحى ، وكان لغذائهم البسيط وصيامهم الطويل الأمد فعله الفعال في سهولة الاتصال .

ثم انتخب العقل الاعظم ـ كما يسميه البعض الآخر من علماء الغرب ـ من ذلك الكثير من البشر ، نخبة يربو عددهم على المائة والخمسة والعشرين ألفا فهيأ هم وأعدهم وكأنهم محطات استقبال عظيمة لتتلقى الوحى والالهام لارشادها للطريق القويم أولا ، ولارشاد الآخرين من أقوامهم واخوانهم الى ترك عبادة الحيوان والانسان والاصنام والى عبادة الله الملك العلام ، وعلى كثير من هؤلاء النخبة الممتازة أطلقت التوراة اسم «الرائين» وهم الذين بثوا في بنى اسرائيل تعاليم الخلاق ، ونصحه الشديد لشعبه المختارفي تنكب طرق الشيطان والتمسك بطريق الرحمن ، وكان جزاء الكثيرين منهم السجن والشنق والحرق كما فعل شاؤول مع داود عليه السلام (صموئيل الاول ٢٨ : ٢) .

ومن هذا العدد المحدود انتخب الخلاق المبدع خمسة وعشرين رسولا كانت قواهم الروحية المبدعة ، ورباطة جأشهم من جهة ، وشدة بأس أقوامهم وجبروتهم من جهة أخرى عالية جدا ، انتخبهم رسلا مبشرين ومنذرين فهدوا أقوامهم الى سواء السبيل .

ثم انتخب القادر فوق عباده بضعة منهم لايزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ، وهؤلاء الخمسة في العدد ، العظام في القوى ، الشداد في الحق ، اذ هم كالجبال الصم في مناطحة تيار أقوامهم الضحضاح وان كان أولئك الأقوام فعلا أقوى في المال والجهل والقوة وأرقى من أولئك الأقوام الذين سبقوهم وأعلا ثقافة بشرية منهم ، فلم يتزعزعوا قيد أنملة أمام جبروتهم بل ضربوا المثل الحسن والقدوة الجليلة في الثبات على المبدأ ، وانفاذ

الرسالات اللاتى ألزموا بتبليغها دون تردد ومماشاة لرغبة أقوالهم .
(ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا)

اثنان من أعاظم هؤلاء الرسل أرسلا لشعب اسرائيل فيمن أرسل اليهم من مئات لايحصون . وبالرغم مالهذين العظيمين من قوى روحية راقية جدا ومن تأييد الروح القدس ـ جبريل ـ لهما ، فقد خذل اسرائيل أولهما بعد اعتكافه أربعين ليلة فعبدوا العجل المصنوع من ذهبهم ، وحاولوا صلب ثانيهما لولا أن أنجاه الله الى ربوة ذات قرار ومعين . ونفذ الصلب فى المشبه به وكأنهم أرادوا شكر الرب على انقاذهم من ذل الفراعنة أو جعلهم سادة فلسطين فخذلهم التوفيق .

ختم الله رسالاته بأعاظم المرسلين والانبياء ، محمد صلى الله عليه وسلم ولد الرسول الاكرم وكان كل أهابه روح ، فلم يكد يبلغ الاربعين من عمره الا وقد تفتحت روحانيته وامتلأت هالته بالروح القدس ، جبريل ، فبلغه اختيار المولى له ، فصدع بما أمر ، فما هى الا هنيهة فى حساب الزمن واذا بأولئك الحفاة ، الرعاة ، ذوى القلوب الشديدة القاسية التى لاتلين ولا تطرف لها عين عندما تئد فلذة كبدها خشية العار أو الاملاق . اذ بهم قادة الامم ومنار ثقافتها ، ومعلمى تهذيبها ، واذا بهم مؤسسى سياسات اجتماعية راقية ، بعظيم واحد من عظماء الرسل والانبياء ، وهذا لعمرى أفضل دليل وخير مثال على ماتمتع به فخر العروبة من نفس جياشة وروح عالية ، مكنها الاتصال بالملأ الأعلى ويتقبل الاتصال الروحى بأعظم الارواح شأنا وأعلاهم منزلة وهو «**الروح الامين**» المعنى فى قوله تعالى «**يسئلونك**» وهو هو الذى نزل بالقرآن العظيم على قلب أفضل العباد وأعلاهم روحا وأرقاهم مستوى حسبما يتنادى به رجال العلم الروحى حديثا .

فمحمد الرسول خير وسيط ظهر على كرتنا الارضية فى حياتنا المحدودة منذ تكورت وأصبحت أهلا للحياة عليها الى أن تتبعثر فى الفضاء وتتزلزل وتتجزأ ، وتخرج أثقالها .. ان المشيئة الالهية لازالت تعتنى بالبشر الذى خلقته وبضعفه وتعنته ، فانها كذلك لاتريد أن يضل فى تيهه سادرا بعد انقطاع الوساطة النبوية وامحاء منار الرسالات الالهية ، فانها قبل ان تقوم الساعة ولكيلا يبقى للناس على الله حجة ، هيأت للبشر فى أنحاء كرتنا وسطاء روحيين لايهتمون الا باستقبال هدايات الارواح واعلانها للملأ لترعوى وتهتدى وتتقى الله جل شأنه ، ولعل ذاك مصداق قوله تعالى : « **ولو أننا نزلنا عليهم الملائكة وكلمهم الموتى** » فتكليم الموتى حدث للعالم بعد انقطاع رسالات الرسل ، ما حصل لبعض رجالات انجلترا فأنقذهم الاتصال الروحى والوساطة الروحية من ضلال الالحادية الى الاقرار لله الخالق بالوحدانية فأسموه العقل الأعظم أو الروح الاكبر .

★★★

العلم الروحي الحديث وآراء رجالات الغربيين وان كان لايقلل من شأن رسالات الرسل فانه يتطلب منا ، نحن مهبط الوحي وينبوع الديانات الثلاث الكبار وبخاصة رجالات ديننا أن يكونوا اللجان ويهيئوا ويحشدوا كل مامن شأنه التعريف بالرسل والرسالة التي جاءوا بها الى النـــاس كافة ، وأن يدعو الفروع متمسكين بالاصول · أصول الرسالات كلها على اختلاف رسلها ، انما هي توحيدالله،فالله سبحانه وتعالى فرد واحد لاشبيه له ولامثيل،لاند له وكل ما عداه مخلوق من خلق فضله وأفضاله من خلق يمينه ، ان شاء أوجده وان لم يشأ أعدمه ، فكل المخلوقات بما فيها الرسل بل أعاظمهم لايملكون حولا ولا قوة ولا ارادة ضد ارادة الله الخالق المبدع السيد العظيم ·· هذا هو الأصل في الرسالات وتعددها وهو ما أسماه المولى تعالى « الاسلام » في القرآن ، أي الاستسلام لله في العبادة لا لاحد سواه ·· فاذا فهم الغرب ذلك من سادتنا وعرفوا من علمائنا حسن ماجاء به الانبياء والمرســلون ، وان لارغبة دنيوية لهم في ملك ، أو في سيادة على الاخرين ، كانوا خير صناجة ودعاة للعالم المتأخر الى الدخول في هذا الدين الحنيف ، دين العالمين ·· بقيت كلمة وددت توضيحها ، فان من يظن أن الوساطة الروحية كالنبــوة أو الرسالة فهو على جهل بالعلم الروحي أو الدين أو كليهما · اذ ليست كل روح ذات قوى تؤهلها للاتصال بروح من عالم الروح · وان حصل لها بعض ذلك الاتصال فليس بوسعها أن تتصل بأرواح عالية ، أرواح راقية في مستوى أرفع بكثير من مستوى الارواح الاخرى · وان أتيح لها اتصال وهذا فرض احتمالي بعيد تحققه · لاختلاف المستوى الروحي أولا ولصعوبة التوافق بين المستويين ثانيا فان مثل هذان الوسيطان يتصـــل برئيس الارواح ، جبريل عليه السلام ·· وان اضطررت للتمثيل ، فأود أن أعلن أن كل الانبياء يستطيعون الاتصال بجبريل في حالات السبات فقط ، أما يقظة فليس باستطاعتهم ذلك ، واتصال جبريل يقظة يتم مع الرسل فقط فالرسل عليهم الصلاة والسلام يستطيعون الاتصال به ويشاهدونه يقظــة وسباتا ، وهذا لعمري هو الفرق بين الرسول والنبي · فاذا كان النبي لايستطيع الاتصال بجبريل يقظة فكم بالحري هؤلاء الذين يسميهم العلم الروحي «وسطاء» أن يكونوا بعيدين عن امكانية الاتصال بجبريل بل بمن هو دونه مراتبا كثيرة ·

من كل ما مر نفهم عظمة الرسول الأكرم وعلو مرتبتـــه بين الارواح ووساطته الراقية بالملأ الأعلى وما امتاز به من طرح روحي ارادي ولا ارادي جعله يخترق السبع الطباق ويصبح من الروح الاعظم قاب قوسين أو أدنى·

بغداد — ابراهيم الكواز